

التأثيرات الحضارية الإسلامية على الغرب الأوربي
خلال الحروب الصليبية
إعداد
د. عبد العزيز بن راشد العبيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

يُمثل هذا البحث دراسة تاريخية للتأثيرات الحضارية الإسلامية على الغرب الأوربي خلال الحروب الصليبية .

يبدأ البحث بتحرير مصطلح الحروب الصليبية ونطاقها الزماني والمكاني ، ثم يتناول دراسة ما ذكره الباحثون حول الدوافع والأسباب وصولاً إلى الأسباب الحقيقية لهذه الحروب كما يراها الباحث ، كما يتناول البحث بالدراسة والمناقشة آراء المؤرخين حول التأثير الإسلامي وهل حصل خلال الحروب الصليبية ، وما مقداره ؟ ويذكر ثلاثة آراء رئيسة حول مسألة التأثير ، وقد فصل البحث ميادين التأثير الإسلامي في الغرب الأوربي وهي :

- التأثير الديني والعقدي : حيث تتبع أوجه التأثير في صلب العقيدة النصرانية موضحاً الأمثلة لذلك .
- التأثير اللغوي: ويوضح البحث مجالات التأثير اللغوي ونماذج لهذا لتأثير.
- التأثير الفكري والعلمي : وهذا من أوسع الميادين وأعظمها مجالاً للتأثير وقد وضّح البحث مجالات التأثير ومن أهمها : استفادة الغرب من المنهج العلمي الإسلامي القائم على التجربة والعقل وكذلك نقل الكثير من العلوم وبخاصة العلوم الطبية حيث استفاد الغرب من مؤلفات المسلمين الطبية وظلّوا يدرسونها في جامعاتهم قرون عديدة ، كما كان التأثير في مجال الفلك والرياضيات أيضاً .
- التأثير الاجتماعي : ونظراً لاحتكاك الصليبيين بالمسلمين في المشرق فقد نقلوا كثيراً من العادات والتقاليد الاجتماعية الإسلامية إلى أوربا ووضّح البحث بعضاً من أوجه التأثير تلك .
- أما في المجال الاقتصادي فكان التأثير واضحاً وبخاصة في مجال التعامل النقدي والصيرفة وكذلك المجال الزراعي .

- ولقد أصاب الجانب السياسي تأثير كبير من العالم الإسلامي فنقلت كثير من تقاليد الحكم ، وبدأت نسائم الصحوة السياسية تهب على الغرب الأوربي ، وظهرت أصوات تطالب بالحرية تأثراً بما كان سائداً في الشرق الإسلامي .

ويخلص البحث إلى تأكيد الأثر الإيجابي للحروب الصليبية على الغرب الأوربي بما حملته من تأثيرات إسلامية في جوانب الحياة المختلفة .
مصطلح الحروب الصليبية:

إن هذا المصطلح رغم شيوعه واتفاق المؤرخين المسلمين المتأخرين على استخدامه لم يكن معروفاً إبان تلك الفترة التي قامت فيها الحملات من أوروبا على العالم الإسلامي، ولم يطلق عليها هذا الاسم إلا بعد قرن ونصف من بدايتها. ففي المصادر الإسلامية عُرفت بحركة الفرنج وعرف القائمون عليها بالفرنج^(١)، أما في المصادر اللاتينية فأطلق عليها "حملات" أو رحلة إلى الأرض المقدسة، أو حرب مقدسة، أو حملة عامة، أو مشروع يسوع المسيح، وربما سميت برحلة الحج، وسمي المشاركون فيها بحجاج^(٢).

أما الصليبية (Crusade) فقد ابتكرت في وقت متأخر جداً.

(١) ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة : ذيل تاريخ دمشق، القاهرة، مكتبة المتنبى، (ص: ١٢٤)، ابن منقذ، أسامة بن مرشد الشيزري: الاعتبار، تحقيق: قاسم السامرائي، الرياض، دار الأصاله الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، (ص: ٢٦) ، ابن الأثير، أبو الحسن علي محمد الشيباني: الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، الطبعة الثانية (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، (١٨٥/٨)، ابن شداد، يوسف بن رافع: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى ١٩٦٤م، (ص: ٤١)، أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل: الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦م، (١/٦٥).

(٢) فوشية شارترى: تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، (ص: ٤٠)، وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية - الأعمال المنجزة فيما وراء البحار-، نقله للعربية سهيل زكار، بيروت دار الفكر العربي، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، (١/١٦٩) وما بعدها.

ومن المهم جداً أن ندرك مغزى هذا المصطلح الذي أطلقه الغرب على هذه الحرب، فعلى الرغم من ارتباطه في أذهان المسلمين بتلك الحملات الحربية العنيفة التي هاجمت العالم الإسلامي فقتلت وأفسدت ودمرت كل شيء، إلا أنه يعني لدى الغربيين معنى آخر فهو مصطلح يفهم منه العدل والخير ونبل المقصد، ولهذا نجد أن الرأي العام الغربي لا يدرك من الحملات الصليبية إلا أنها حملات خيرّة منزّهة الغرض تقوم بأهداف نبيلة مثل رعاية المرضى ومساعدة المنكوبين وجمع التبرعات، وجاءت الأغنيات الشعبية حاملة هذه المعاني فأصبح الموروث الشعبي المتمثل فيما يعرف بأغنيات الحروب الصليبية يحمل هذه الصورة البرّاقة التي ارتسمت في أذهان الناس، واستعاض بها عن المعلومات التاريخية^(١).

وعلى هذا فلا بد من الحذر في استخدام المصطلحات الغربية في التاريخ لأنها ربما حملت معاني لا تنطبق مع مفهوم المسلمين عن الأحداث وطبيعتها.

النطاق الزماني والمكاني:

تعارف المؤرخون على أن الحروب الصليبية هي تلك الحملات التي قامت بها أوروبا على العالم الإسلامي خلال قرنين من الزمان، ابتداءً من السنوات الأخيرة من القرن الخامس الهجري وحتى نهاية القرن السادس الهجري. والحقيقة أن هذا التحديد إنما يعني مرحلة من مراحل هذه الحروب، ذلك أنها قد استمرت بعد ذلك وإلى العصر الحديث في أشكال وأسماء مختلفة، كما أنها قد سبقت ذلك التاريخ كذلك، فكانت حملات هذه المرحلة التي استمرت قرنين من الزمان تطوراً لما سبق وتمهيداً لما أتى بعد ذلك، وانعكاساً لأوضاع معينة في أوروبا، فلما جاءت الحملات المتأخرة تأثرت أيضاً بأوضاع أوروبا السائدة وقتها.

(١) قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، الكويت، عالم المعرفة (١٩٩٠/٥١٤١٠م)، (ص: ١٣).

وكذلك فإن حصر نطاق هذه الحروب المكاني في الشرق الإسلامي لا ينسجم مع مسيرة هذه الحروب، ذلك أنها امتدت إلى مناطق أخرى من العالم الإسلامي كالأندلس مثلاً ولذا فإننا حينما نقول: "الحروب الصليبية في الشرق الإسلامي" فإننا نعني مرحلة واحدة من مراحل هذه الحروب الممتدة زمانياً ومكانياً، بحيث اشتهرت الحملات القادمة من أوروبا إلى الشرق الإسلامي في تلك الفترة بالحملات الصليبية دون سواها من الحملات الأخرى على الرغم من أن جميع هذه الحملات كانت حروباً صليبية لاشتراكها في الأهداف والمقاصد ولأنها جميعاً تمت تحت شعار الصليب وبمباركة الكنيسة ورجال الدين غالباً.

على أن الاهتمام قد انصب على هذه المرحلة المحددة وحدها لأنها دارت على أرض يقدسها المسلمون والنصارى واليهود، وشارك فيها عدد كبير من مختلف الجنسيات واللغات، واستمرت قرنين من الزمان سادتها فترات طويلة من السلم الذي أدى إلى التعايش بين المسلمين والصليبيين مما نتج عنه تأثيرات متبادلة في الغرب والشرق وفي مختلف المجالات^(١).

كل هذه الأمور وجهت انتباه الباحثين لدراسة هذه المرحلة وللبحث عن أسباب هذه الحروب ودوافعها وسير حملاتها ونتائجها وآثارها. الدوافع والأسباب:

اختلفت الآراء وتعددت حول دوافع الحروب الصليبية قديماً وحديثاً، وأرجعها كل مؤرخ إلى سبب أو أسباب يرى أنها هي الباعث لها، إلا أن المؤرخ المنصف لا بد أن يحلل كل البواعث والدوافع التي ذكرت ويناقشها ليصل إلى الحقيقة المقنعة التي جعلت تلك الجموع الغفيرة تتطلق من أوروبا إلى الشرق الإسلامي في شكل هجمات حربية منظمة.

(١) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٨٢م، (٢٧/١).

لاشك أن هذه الأحداث لم تأت عفوية، كما أنها لم تأت نتيجة لإفرازات حتمية خاصة في أوروبا فقط، وإنما جاءت منظمة ومدروسة ولها أهدافها وغاياتها التي يتوخى المخططون لها والمنفذون تحقيقها.

وإذا كان بعض الباحثين يجردون الحوادث من دوافعها الدينية ويربطون الأحداث بدوافع مادية نتيجة إتباعهم لمذهب معين في تفسير التاريخ فإن المؤرخين الأوروبيين القدماء وبخاصة المعاصرين لتلك الأحداث قد ذكروا الدوافع الحقيقية لهذه الأحداث صريحة وربطوها بالدين فجعلوا دوافع الحركة الصليبية دينية وأهدافها دينية، وطبيعتها دينية.

يقول المؤرخ Guibertof Nogent (أوائل القرن الثاني عشر الميلادي): "إنها - أي الحروب الصليبية - وسيلة جديدة أرادها الله للبشر من أجل التكفير عن الآثام ولغاية الخلاص" (١)

ويرى المؤرخ وليم الصوري - المعاصر لأحداثها الأولى - أنها جاءت نتيجة استيلاء المسلمين على القدس (٢) ..

بل إن من المؤرخين المحدثين من يصرح بذكر أسبابها الدينية فمثلاً ريان Riant يشير إلى أنها حرب دينية خالصة تهدف لاسترجاع الأراضي المقدسة وتأسيس دولة لاتينية فيها (٣)، ويصرح فازليف بذكر السبب الديني فيقول: "إنها من أهم مراحل الصراع بين المسيحية والإسلام منذ القرن السابع وهو صراع امتزجت فيه أغراض دينية بجانب تخليص الأراضي المقدسة" (٤).

(١) Quoted In: R . Pernoud , The Crusades, trans by Mcleod (١٣ p. ١٩٦٢, London)

(٢) تاريخ الحروب الصليبية: الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة سهيل زكار، (١٤١/١).
(٣) سعيد عاشور: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت دار النهضة العربية، ١٩٧٢م، (ص: ١٧).

(٤) AA. vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol: ١١, p: ٣٨٩. تنقلا
عن عبد القادر أحمد اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، بيروت، المكتبة العصرية ١٩٦٩م، (ص: ٣٣).

وبالنظر في أحوال أوروبا خلال تلك الفترة يتضح سيطرة فكرة التوجيه الديني للأحداث فيها، شهدت أوروبا الكاثوليكية خلال القرن الحادي عشر الميلادي ظهور بعض الاتجاهات الدينية التي أثرت كثيراً على الناس، ومنها ما شاع عن قرب نهاية العالم في ذلك القرن وربط الأحداث الطبيعية والظواهر الاجتماعية بذلك، فقد علق الراهب الفرنسي رالف جلابير على بركان فيزوف في إيطاليا بأنه نذير باقتراب القيامة، وكثر الحديث عن السماء التي تمطر نجوماً، والشهب الملتهبة، وشاعت أخبار أطفال يتكلمون عقب ولادتهم، وتناقل الناس حكايات عن مدينة القدس وهي تتجلى في السماء أمام العيون وظهرت أساطير يرويها القس مثل قصة القس الذي رأى في صفحة السماء وفي وضح النهار معركة بين فارسين ينتصر أحدهما على الآخر بضربة من سيف كبير^(١)، وغيرها من القصص والأساطير التي أثرت على الجو النفسي والفكري للأوروبيين، فسيطرت عليهم المشاعر الأخروية وأصبحوا تواقين للخلاص، فوجههم الرهبان والقسس إلى الرحلة نحو القدس واستغلهم الزعماء لتحقيق أهدافهم، فازدهرت حركة الحج وتحولت إلى حج مسلح - إن صح التعبير - بل إن بعض الباحثين يذهب إلى أن الحملة الأولى وما تلاها كانت من الحجاج المسلحين، بدليل أن المعاصرين لها لم يفرقوا بين الحج والحملة الصليبية، وكانت سياسة الكنيسة في ذلك الوقت هي عسكرة الحج وإضفاء طابع القداسة عليه، فكان الصليبي حاجاً يتمتع بامتياز حمل السلاح ورمزه السيف المبارك من الكنيسة، وحتى في الحملات التالية للأولى لم يختلف الأمر كثيراً، فهام قادة الحملة الثالثة: فردريك ملك ألمانيا، وريتشارد ملك إنجلترا، وفيليب ملك فرنسا يستلمون من الكنيسة مهمات الحجاج وهي

(١) قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية (ص: ١٦، ١٧).

العصا والتصريح (Staff and Scib) مع أنهم ذاهبون لقتال المسلمين بقيادة صلاح الدين ^(١).

وقد ارتبط بهذا الأمر كثير من الطقوس التي برزت بعد ذلك ومن أهمها: تجارة الذخائر، والحج التكفيري، والغفران الممنوح لكل الذاهبين، وهو غفران كامل لكل الذنوب وعرف بالغفران الصليبي، وتطور بعد ذلك إلى غفران من يرسل الجند لمحاربة المسلمين.

ولم تفرق الكنيسة وكذلك الملوك بين الحملات التي اتجهت نحو المشرق أو الحملات التي اتجهت جنوباً نحو الأندلس لأنها كلها حروب دينية ضد المسلمين، أو من تسميهم الكنيسة بالكفار ^(٢).

إذاً فالعداء الديني الذي ترسخ في عقول النصارى في ذلك العصر هو المحرك لهذه الحملات وهذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملثهم" (البقرة: ١٢٠)، فعدم الرضا والعداء هو من قبل هذه الطوائف ضد المسلمين، في حين أن المسلمين قد التزموا بما قرره الله تعالى في معاملة هؤلاء الذين عرفوا في الشريعة بأهل الكتاب وذلك بحفظ حقوقهم وعدم إكراههم على الإسلام، بل وحمايتهم داخل الدولة الإسلامية، ويتضح ذلك جلياً في أعمال الصليبيين ضد المسلمين حينما استولوا على المناطق الإسلامية، حيث القتل والدمار وما قابلهم به المسلمون حينما استعادوها حيث التسامح وحسن المعاملة ^(٣).

(١) فوشية الشارترى: تاريخ الحملة إلى القدس (ص: ٤٠، ٤١)، عزيز سوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فيليب صابر سيف، القاهرة، دار الثقافة، الطبعة الثانية، د. ت، (ص: ٢٨، ٢٩).

(٢) كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، القاهرة، سيناء للنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، (ص: ٧٨)، محمد ماهر حمادة: وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٢/١٩٨٢م، (ص: ١٧، ١٨).

(٣) وذلك مثل ما حدث للقدس الشريف حينما استولى عليه الصليبيون حيث يذكر ولیم الصوري أنه بعد قتل جميع أهل المدينة امتلأت الأزقة بالجنث التي فصلت رؤوسها ثم طاف الجنود في

وأما ما ذكر من دوافع أخرى لهذه الحروب فهي تدور في هذا المحور الرئيس وهو المحور الديني ومنها:

- تخليص الأراضي المقدسة من المسلمين والاستحواذ على القبر المقدس.
- تأمين سلامة الحجاج والسهرة على راحتهم في الطريق وفي الأراضي المقدسة.
- تطلع كنيسة روما إلى فرض زعامتها على كل العالم النصراني.
- توحيد الكنيستين الشرقية والغربية.
- حماية بيزنطة من الوقوع في يد المسلمين.
- الثأر من المسلمين لفتحهم مناطق الشام، وهزيمتهم للروم في معركة ملاذكرد^(١).

على أننا لا ننكر تأثير العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولكنه تأثير لا يرقى إلى درجة التأثير الديني الذي تحدثنا عنه. ولو نظرنا للكتابات الإسلامية المعاصرة لتلك الأحداث لما وجدنا تفصيلاً لدوافع هذه الحروب، وليس ذلك راجع - كما يتصور بعض الباحثين - إلى قصور في إدراك المؤرخين المسلمين لماهية هذه الحروب وطبيعتها ولكنه يرجع إلى الثقافة الإسلامية التي يتمتع بها المسلمون في ذلك الوقت، بحيث أن المؤرخ المسلم يكتفي بذكر عبارة "الفرنج النصاري" ليدرك القارئ أسباب هذا الهجوم حينما يكون من قبل النصاري، فالدين والعقيدة في نظر الجميع هما المحركان لهذه الأحداث.

المدينة يبحثون عن البقية الباقية على قيد الحياة من النساء والأطفال "وسحب هؤلاء على مرأى الجميع وذبحوا كالأغنام... أو قذفوا من مكان مرتفع حيث هلكوا بشكل مأساوي" (تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، (١/٤٣٧).

وقارن بما عمله صلاح الدين حينما استعادها فعفى عن الجميع وأطلق سراحهم (ابن شداد: النوادر السلطانية (ص: ٨٢)، العماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد الكاتب: الفتح القسي في الفتح القدسي، القاهرة، المطبعة الأميرية، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٢هـ، (ص: ٤٦، ٤٧).

(١) عبد القادر أحمد اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، (ص: ٣٨، ٣٩).

أثر الحروب الصليبية على الغرب الأوروبي:

يتفق الباحثون على التأثير الكبير للحضارة الإسلامية على الغرب الأوروبي، وحتى مفكري الغرب لم ينكروا هذا التأثير وإن اختلفوا في مقداره ومداه، وألف الكثير منهم كتباً متخصصة لإيضاح هذا التأثير ورصده في الحضارة الأوروبية الحديثة، وتوصلوا إلى فئات مفادها أن النهضة الأوروبية كانت من نتاج هذا التأثير ومن هؤلاء على سبيل المثال، ول ديورانت في قصة الحضارة، وغوستاف لوبون في حضارة العرب، وزيجريد هونكه في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب... وغيرهم كثير مما لا يخفى على الباحثين. إلا أن هؤلاء الباحثين والمفكرين يختلفون في المدى الذي ساهم به الشرق الإسلامي في هذا التأثير ومن الممكن رصد آرائهم تلك وحصرها فيما يلي:

• الرأي الأول:

ينفي وجود تأثير للشرق الإسلامي في ذلك الوقت وذلك لعدة أمور منها:

- أ- أن الصليبيين جاءوا محاربين ومعادين للمسلمين وعاشوا بينهم في وضع غير مستقر فلم يتح لهم المجال للتعلم من المسلمين^(١).
- ب- أن الحضارة الإسلامية (أي حضارة الشرق) كانت آخذة في التدهور قبيل الغزو الصليبي، في حين أن حضارة أوروبا كانت متدنية المستوى ومن هنا فلا مجال للتفاعل أو التأثير بين الحضارتين^(٢).
- ج- أن معظم المشاركين في الحملات الصليبية لا تعنيهم علوم الشرق في شيء ولذا فإن تأثيرهم مستبعد^(٣).

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية (١٢٠٧/٢).

(٢) كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية (ص: ١٤٨).

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ١٩٦٥م، المجلد (٤) الجزء (٤)، (ص: ٦٤، ٦٥)، محمد كامل حسين: أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية (الطب والأقربازين) دراسة لعدد من العلماء أعدت بإشراف مركز القيم ومنظمة اليونسكو، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠م، (ص: ٢٨٦).

وخلاصة هذا الرأي أن تأثير الشرق تافه وضئيل في حضارة أوروبا، ومن الخطأ أن يُعزى إلى الشرق الإسلامي أي تأثير علمي لأن تلك الحروب لم تكن عامل تفاعل بين الشرق والغرب.

• الرأي الثاني:

يقول بالتأثير المحدود من الشرق الإسلامي على أوروبا بمعنى أن هذا التأثير كان على فئة معينة دون غيرها، فقد استفاد العلماء وذوي الذكاء من احتكاكهم بالمسلمين، والبعض يحصر الاستفادة على النبلاء والكنسيين وحدهم أما بقية المشاركين وهم الغالبية العظمى فلم يكن للحروب الصليبية أي تأثير على مستواهم الحضاري، ومن هنا فقد عاد أكثرهم إلى أوروبا كما جاء دون أن يستفيد من حضارة الشرق وعلومه، فأصبح التأثير في أوروبا محدوداً أيضاً^(١).

• الرأي الثالث:

وهو رأي من يقول أن الحروب الصليبية كانت أحد المعابر الحضارية إلى أوروبا بالإضافة إلى معابر أخرى وهي الأندلس وصقلية وبيزنطة^(٢)، ولعل هذا هو الرأي الصواب لأنه يتفق مع نتائج الحروب الصليبية، فالشرق الإسلامي أثر بلا شك في حضارة أوروبا، ولو نظرنا لهذه الحضارة لوجدنا فيها أنماطاً كثيرة استفادها الأوروبيون من المسلمين في المشرق سواء في مجال اللغة أو العلوم المختلفة أو النواحي الاجتماعية والاقتصادية، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى بعض الملحوظات في هذا الاتجاه:

أ- أن الشرق الإسلامي لم يبلغ في تأثيره إلى مستوى التأثير القادم من الأندلس أو صقلية.

(١) كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية (ص: ١٤٩)، نعيم فرح: الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، دمشق، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٩م/١٤٢٠هـ، (ص: ٣٢٤).

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي: أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، (ص: ٤١).

- ب- أن التأثير جاء متأخراً، وذلك أن رجال الحملات الأولى قد صرفهم التعصب عن الاستفادة من التقدم الذي يسود العالم الإسلامي آنذاك إلا أن الأجيال المتعاقبة بعد ذلك قد بدأت تتأثر.
- ج- أن هناك فئات قد تأثرت كثيراً بالحضارة الإسلامية وتمثلتها في حياتها وحملتها بعد ذلك إلى أوروبا.

ولعل ما يؤيد الرأي الأخير هو ما ورد في المصادر الأوروبية عن ظهور حركة إفاقة شاملة بدأت تنتشر في المجتمعات الأوروبية عصر الحروب الصليبية وشملت جميع مناحي الحياة وأطلق عليها بعض المؤرخين اسم "النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر" ولاشك أن من أعظم أسبابها الاتصال بين المسلمين والغرب في الشرق الإسلامي غداة الحروب الصليبية^(١).

ولعلنا من خلال تتبع ميادين التأثير الإسلامي نوضح هذه القضية بشكل أوسع وأعم.

من الممكن أن نحدد الميادين التي تم التأثير عليها في مناحي الحياة المختلفة في الغرب الأوروبي ثم نفصل الحديث عن كل واحد منها على حدة:

أولاً: التأثير الديني والعقدي.

ثانياً: التأثير اللغوي.

ثالثاً: التأثير الفكري والعلمي.

رابعاً: التأثير الاجتماعي.

خامساً: التأثير الاقتصادي.

سادساً: التأثير السياسي.

أولاً: التأثير الديني والعقدي:

من المعلوم أن الصليبيين حينما قدموا للعالم الإسلام كانوا يحملون صورة سيئة عن المسلمين، ذلك أن رجال الدين قد استطاعوا إيغار صدورهم وملأها

(١) نعيم فرح: الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى (ص: ٣٠٦).

بالحقد والبغضاء للمسلمين، وسموهم بالكفار والوثنيين وذلك لكي يدفعوهم لقتالهم والقضاء عليهم، ولذا حدثت تلك المذابح الرهيبة التي حلت بالمسلمين على أيديهم نتيجة لهذا العداء المستحکم^(١)، وبعد أن استقر الصليبيون في الشرق بدأت كثير من المفاهيم التي يحملونها عن المسلمين تتغير وبدأت الصورة الحقيقية للإسلام تفرض نفسها عليهم، فلم يجدوا الإسلام كفرة كما يقول رجال الدين ويدعوا للإباحية، وما شاهدوا المسلمين يعبدون محمداً - صلى الله عليه وسلم - وبدأوا يحتكون بالمسلمين فوجدوا الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة والتعامل والسلوك الطيب الذي لا يمكن أن يتعلموه من شيطان كما لفنهم ذلك رجال الكنيسة، بل هو يعبر عن مستوى راق من التطور الحضاري الذي تفقده أوروبا في ذلك الوقت^(٢). وبدأ التأثير الإسلامي الذي اتصف به هذا الدين، فالمعلوم أن الإسلام قد اجتذب ألد أعداء المسلمين، وأنه وحتى في أشد حالات الضعف التي انتابت العالم الإسلامي يؤثر في أتباع الديانات الأخرى، فلم تعد نظرية تأثير الغالب على المغلوب موجودة بالنسبة للمسلمين.

ومن المهم أن نعلم أن هذا التأثير الذي بدأ على الصليبيين لم يقتصر على أن أقام في الشرق فقط بل حملة من عاد إلى أوروبا ولذا بدأت التأثيرات الإسلامية تظهر على النصارى في أوروبا الغربية وتضافرت معابر الثقافة والحضارة الإسلامية في تأكيد هذا التأثير.

ففي صلب العقيدة النصرانية اهتزت كثير من تعاليمها، وظهر عدد من رجال الدين ينتقدون التثليث، وأنكروا العشاء الأخير أو طقس القربان، وظهرت منذ وقت مبكر مشكلة الأيقونات حيث نادى عدد من رجال الدين بتحريم

(١) فوشية الشارترى: تاريخ الحملة إلى القدس (ص: ٧٧)، ولیم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية (٤٣٧/١).

(٢) ه. أ. ل. فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، نقله للعربية: محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني، القاهرة، دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة، دت، القسم الأول (ص: ١٨٥)، (١٨٦).

الأيقونات وعدم عبادتها وساعدهم بعض الأباطرة في الإمبراطورية البيزنطية، وامتد هذا الأمر لبقية أوربا، ولا شك أن هذا تأثرٌ بتعاليم الإسلام التي تحرم التصوير^(١).

على أن أعظم التأثيرات قد انعكست على الكنيسة وعلاقتها بعامة الناس وبالدولة فقد رأى الصليبيون المسلمين يؤدون عبادتهم مباشرة وبلا واسطة فيتصلون بالله سبحانه وتعالى فأدركوا خطأ ما تدعوهم إليه الكنيسة، وبدأوا يدعون إلى التحرر من سلطة البابا ورجال الدين، ويسخرون من صكوك الغفران ومن الذين يصدرونها، وقالوا إن الباباوات من أولهم إلى آخرهم لا يستطيعون أن يضعوا ذنباً عن مخلوق لأن الله هو الذي يغفر الذنوب وحده، ولم يقتصر التحرر من سلطة الكنيسة على عامة الشعب وإنما امتد إلى القادة السياسيين، حيث تطلع الملوك والأباطرة إلى الإنعتاق من تسلط رجال الدين، وبدأت فترة حاسمة في التاريخ الغربي عرفت باسم "عصر النزاع بين البابوية والإمبراطورية"^(٢) ويصور لنا أحد المؤرخين المسلمين هذا الاتجاه لدى ملوك أوربا فيروى عن أحد المرافقين المسلمين للإمبراطور فريديريك الثاني أنه سأله حينما كان في عكا عن خليفة المسلمين فأخبره المسلم بأنه ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، توارث بيته الخلافة فلا تخرج منهم فقال فريديريك: "ما أحسن هذا لكن هؤلاء القليلوا العقول يأخذون رجلاً من المزبلة ليس بينه وبين المسيح نسبة ولا سبب جاهلاً

(١) نشر: تاريخ أوربا العصور الوسطى (ق: ٢١٤/١)، سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى، النظم والحضارة، القاهرة، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية ١٩٦٣م، (١٦٨/٢، ١٦٩)، نعيم فرح: الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى (ص: ٣١٤، ٣١٥).

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الرابع، الجزء الرابع، (ص: ٦٦، ٦٧)، المجلد الرابع الجزء الخامس (ص: ١٦، ١٧)، سعيد عاشور: الحركة الصليبية، (١٢١٣/٢).

فَدَمًا^(١) يجعلونه خليفة عليهم، قائماً مقام المسيح فيهم، وأنتم خليفتم ابن عم نبيكم فهو أحق الناس بمرتبته^(٢).

إن هذه الرؤية توضح الموقف العام لملوك أوروبا الغربية من البابوية وبخاصة بعد اتصالهم بالمسلمين وتأثرهم بما هو سائد في البلاد الإسلامية. على أن الأمر قد ازداد بعد الهزائم المتوالية على الصليبيين والتي توجت بمعركة حطين ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، فقد تلاشت الثقة برجال الدين وأصبح البابا في نظر أكثر الأوروبيين كعامة الناس يخطئ ويصيب فهو لا يمثل الله وإرادته كما كان يدّعي وإلا لما هزمت جيوش المسيح أمام المسلمين.

وبدأ التمرد على قرارات الكنيسة وبخاصة قرار الحرمان الذي طالما استخدمه البابوات ضد الملوك والأباطرة واستغلوه سيفاً مسلطاً على رقابهم لتنفيذ كل تعاليمهم وتحقيق مصالحهم، فها هو فيليب الثاني أغسطس ملك فرنسا يعلن عصيانه للبابا سلسيتين الثالث ويقول وهذا هو المهم: "ما أسعد صلاح الدين الذي ليس فوقه بابا"^(٣) وهذا لاشك تأثر واضح بالدين الإسلامي.

وهناك أثر هام خلفته الحملات الصليبية على الكنيسة الغربية فقد أثبتت الحركة الصليبية تلك فشل الحملات العسكرية في نشر الدين النصراني بالقوة ومن ثم اتجهت هذه الكنيسة إلى التبشير كوسيلة جديدة لنشر دين النصرانية بين المسلمين في محاولة لتحقيق ما عجز عن تحقيقه القادة العسكريون.

وأخذ المنصرون يتابعون على الشرق، وتضافرت جهود الكنيسة مع جهود الملوك في هذا المجال ونشط العمل التنصيري في أعقاب الحملات الصليبية وإذا كانت الجهود لم تثمر في البلاد الإسلامية كما كان يأمل رجال الكنيسة فإن بعض

(١) من معاني الفهم: العبي عن الحجة، السمين، الأحق، الجافي (ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، مادة قدم، بيروت دار صادر، مجلد ١٢ (ص: ٤٥٠).

(٢) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٢م، (٢٥١/٤).

(٣) أول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الرابع، الجزء الرابع (ص: ٢٢٦).

الأهداف قد تحققت بين المغول الذين أصبحوا بعد ذلك هدفاً للحملات التنصيرية^(١).

ونختم الحديث عن التأثير الديني بالإشارة إلى أن هذا التأثير لم يكن عبر الاتصال الشخصي فقط بل ألقت كتب بأقلام نصرانية تحدثت عن الإسلام وأسهمت في نقل التأثيرات الإسلامية إلى أوروبا، فقد ألف وليم الطرابلسي كتابين عن العالم الإسلامي، و وليم الطرابلسي دومينيكاني عاش في القدس في القرن السادس الهجري، الثالث عشر الميلادي، عصر الحروب الصليبية، وكتابه الأول يعرف اختصاراً باسم "الأمة المحمدية" وعنوانه الكامل: "ذكريات عن محمد وكتاب قوانين القرآن ومحتواه، وما الذي قال عن ربنا يسوع المسيح"، وأما كتاب الثاني فيعرف اختصاراً باسم "أحوال السرازنة" وعنوانه الكامل: "حول أحوال السرازنة وأحوال محمد نبيهم المزيف وحول الشعب نفسه وقوانينه"^(٢).

وقد ضمنها معلومات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن بعض سور القرآن، وأشار فيه إلى أن المسلمين يعبدون الله الذي هو خالق كل شيء ويكونون لعيسى احتراماً وتقديراً لأنه في نظرهم من الأنبياء^(٣).

ثانياً: الأثر اللغوي:

نقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة: "إن في لغتنا كلمات عربية عديدة وإنا لندين - والتاريخ شاهد على ذلك - في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب، وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب، الذي كان يوماً من

(١) سعيد عاشور: الحركة الصليبية (٢/١٢١٤، ١٢١٥).

(٢) عبد الراضي محمد عبد المحسن: الوحي القرآني في الفكر اللاهوتي، دراسة تحليلية نقدية، بحث ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الإستشرافية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف شوال ١٤٢٧هـ / نوفمبر ٢٠٠٦م، (ص: ٢٥).

(٣) عبد الله الربيعي: أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي (ص: ١٤٧).

الأيام قائماً كالحأ باهتاً وزركشته بالتوايل الطيبة النكهة، وطيبته بالعبير العابق، وأحياناً باللون الساحر وزادته صحة وجمالاً وأناقة وروعة^(١).

لقد أضحت اللغة العربية بعد ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم لغة علم وحضارة وانتشرت مع الإسلام شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً فأصبحت لغة المسلمين، وكتبت الحضارة الإسلامية بها، وأصبحت أداة الفكر المتطور الراقي، وبمعنى أشمل تحولت إلى لغة الحضارة الإنسانية في ذلك الوقت، ولذا اضطر طلاب المعرفة والساعين إلى العلم من كل الأجناس إلى تعلمها ليتسنى لهم الدخول إلى عالم الحضارة المشرق، وكان الصليبيون ممن اضطر إلى ذلك^(٢).

لقد كان لاحتكاكهم الدائم بالمسلمين أثر على تعلمهم اللغة العربية، وكما نعلم فقد سادت فترات من السلم بين الجانبين وكان هناك تعاملات يومية تجارية وغيرها أدت إلى معرفة الفرنج باللغة العربية وإجادتها، كما أن هناك طلاب علم من الأوروبيين الذين يقيمون في الشام قد التحقوا بمدارس المسلمين فدرسوا العلوم باللغة العربية^(٣)، وشهدت أوروبا إنشاء معاهد لتدريس اللغات الشرقية ومنها بالطبع اللغة العربية^(٤)، وقد تحمس المستشرق رايموند لوليو (١٢٣٥م - ١٣١٤م) R. lulio لإنشاء المدارس العربية في باريس وأرغون، كما أقنع البابا في روما على إنشاء كراسي للغة العربية في أربع جامعات رئيسية في أوروبا وهي باريس، وأكسفورد، وبولونيا، وصلمنكة ثم جامعة خامسة بالبلاط البابوي

(١) زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، بيروت، دار الأفاق الجديدة، الطبعة الثامنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، (ص: ٢٠).

(٢) عزيز سوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب (ص: ١٩٨، ١٩٩).

(٣) سعيد عاشور: بحوث في تاريخ الإسلام وحضارية، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، (ص: ٥٨٩).

(٤) زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب (ص: ٢٩٢)، نجيب العقيقي: المستشرقون، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة، دت، (١/٢٢٢).

مع تنصيب أستاذين لكل كرسي وتكليفهم بترجمة النصوص العربية، وقد ظل هذا القرار أصلاً من أصول القانون الكنسي أكثر من خمسمائة عام^(١). ولاشك أن الهدف من إنشائها لم يكن علمياً بقدر ما كان خدمة لعملية التصدير إلا أنها أفادت الأوروبيين كثيراً بمعرفتهم بلغة العلم والمعرفة، أضاف إلى ذلك أن التبادل التجاري الذي شهد ازدهاراً إبان الحروب الصليبية قد دفع الأوروبيين إلى تعلم اللغة العربية حتى يتسنى لهم التعامل مع التجار المسلمين بيسر وسهولة.

كل هذه العوامل أثرت في الجانب اللغوي بحيث أننا نجد الكثير من الأسماء والمصطلحات والكلمات العربية قد انتقلت إلى أوروبا ولا زالت تستعمل إلى وقتنا الحاضر على أنه يجب أن لا نغفل الأثر الكبير للأندلس وصقلية في هذا المجال، ومن الصعب جداً أن نستوضح أثر الحروب الصليبية منفصلاً عن هذين المعبرين لأن كثيراً من الكلمات المنقولة تستخدم في الشرق الإسلامي كما تستخدم في الأندلس.

ولقد صدرت الباحثة الألمانية زيغريد هونكة كتابها بكم كبير من الكلمات ذات الأصل العربي، والتي تستخدم في اللغات الأوروبية المختلفة الإنجليزية والألمانية والأسبانية والفرنسية، وربّت في آخر الكتاب كلمات بالألمانية على حروف الهجاء أخذت من العربية أو الفارسية المعربة. ومنها على سبيل المثال: القهوة، والسكر، وعصير الليمون، والخرافة، والقباء، والسترة، والقلنسوة، والمرتبّة، والقند، والديوان، والصفة، والفقة، والقطن، والزعفران وقماش الموصل، والمهير، والفتة، وبنان الموز ... الخ.

كل هذه الأشياء كما نقول المستشرقة الألمانية إنما أخذناها عن العرب وأخذنا معها حاجات أخرى لا تزال تحتفظ بأسمائها العربية الأصلية في كل أنحاء العالم المتحضر^(١).

(١) نجيب العقيقي: المستشرقون، (١ / ١٢٢ - ١٢٣).

ثالثاً: التأثير العلمي والطبي:

هذا ميدان واسع بل هو بحر لا ساحل له، وقد ألف المفكرون الغربيون والمسلمون المؤلفات العديدة في هذا المجال: أعني أثر الفكر الإسلامي في الفكر الأوروبي بل إن مجالاً واحداً من مجالات العلوم المختلفة لا يكفيه هذا النطاق الضيق للحديث عنه ولكن حسبنا إلمامة سريعة نطل عبرها على الأثر الإسلامي في النهضة العلمية الأوروبية.

مما لا شك فيه أن الصليبيين حينما جاءوا إلى بلاد المسلمين كانوا في أشد حالات التخلف والانحطاط العلمي والفكري، ولكن ومع مرور الزمن واحتكاكهم بالمسلمين بدأوا يستفيدون من تقدمهم الحضاري وانعكس ذلك على مستواهم الفكري العام.

لقد قَدِمَ إلى الشرق الإسلامي عدد من الأوروبيين للدراسة والتزود بالمعرفة ومن هؤلاء على سبيل المثال: أدلرد أوف باث (Adelard of Bath) الذي ولد في مدينة باث في إنجلترا سنة ١٠٦٣م/١٠٧٠م، وسافر إلى لبنان ومصر وإنطاكية والقدس في الفترة من (١١٠٤م/١١٠٧م) إلى (١١٠٧م/١١٠٧م) واستطاع أن يجمع منها علوم الطبيعة والفلك والرياضيات، وحينما عاد إلى إنجلترا عين معلماً للأمير هنري الذي أصبح الملك هنري الثاني وأهدى إليه أحد كتبه، وقد تضرع من ثقافة العرب وأثر مذهبهم في العلم على مذهب الفرنجة فقال في كتابه المسائل الطبيعية مخاطباً ابن أخيه خريج جامعات الفرنجة: "إنني - وقائدي هو العقل - قد تعلمت من أساتذتي العرب غير الذي تعلمته أنت، فبهرتك مظاهر السلطة بحيث وضعت في عنقك لجاماً تقاد به قياد الإنسان الحيوانات الضارية ولا تدري لماذا؟ ولا إلى أين؟ فقد مُنح الإنسان العقل لكي يفصل به بين الحق وبين الباطل... فعلينا بالعقل أولاً فإذا اهتدينا إليه - لا قبل ذلك - بحثنا عن السلطة فإن سايرت العقل قبلناها وإلا...". وقد خَلَفَ هذا المستشرق أثراً

(١) شمس العرب تسطع على الغرب (ص: ٥٥٢)، وما بعدها.

كثيرة عبارة عن ترجمات في الفلك والرياضيات من أشهرها زيج الخوارزمي^(١)، وكتاب الأصول لأقليدس وترجم بمعاونة يوحنا الأشبيلي^(٢) أربعة كتب لأبي معشر البلخي^(٣) وألف عن العلوم عند العرب والأسطرلاب^(٤).

كما أن الصليبيين قد بدأوا يترجمون الكتب العلمية وبخاصة في مجال الطب إلى اللاتينية، ويذكر الباحثون أنه قد ترجم كتابان فقط خلال تلك الفترة في الإمارات الصليبية وهما: كتاب كامل الصنعة الطبية لعلي بن عباس المجوسي^(٥) ترجمة ستيفن البيزوي في أنطاكية سنة ٥٣٢هـ/ ١١٢٧م، وكتاب سر الأسرار الباحث في طب العيون المنسوب لأرسطو ترجم من العربية إلى اللاتينية في أنطاكية سنة ٥٤٢هـ/ ١٢٤٧م وكان هذان الكتابان أكثر الكتب انتشاراً في أوروبا في العصور الوسطى، وكان كتاب كامل الصنعة هو المصدر المهم لمدرسة الطب التي أنشئت بمدينة ساليرنو^(٦).

(١) هو محمد بن موسى الخوارزمي وينعت بالأستاذ، فلكي رياضي مؤرخ انقطع إلى خزانة كتب دار الحكمة وتوفي سنة ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م، من آثاره الزيج الأول والثاني، العمل بالأسطرلاب، الجبر والمقابلة (النديم الوراق: محمد بن إسحاق: الفهرست، تحقيق رضا - تجدد، طهران ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، (ص: ٣٣٣).

(٢) يوحنا الأشبيلي (jvan de sevilla) يهودي متنصر عاش في القرن الثاني عشر الميلادي عمل في الترجمة فترجم لثابت بن قرة والفرغاني والفارابي وصنف موجزاً في الحساب، (نجيب العقيقي، المستشرقون (١/ ١١٣، ١١٢).

(٣) هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي فلكي رياضي ولد في بلخ التي تقع في أفغانستان حالياً سنة ١٧١هـ/ ٧٨٧م، ألف ما يقارب الأربعين كتاباً توفي سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٦م، (النديم الوراق: الفهرست (ص: ٣٣٥).

(٤) نجيب العقيقي: المستشرقون، (ص: ١١١، ١١٢)، عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية، القاهرة، دار نهضة مصر، الطبعة الثانية، د. ت. (ص: ٤٢).

(٥) هو علي بن عباس المجوسي (توفي ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) طبيب فاضل فارسي الأصل ألف كتاباً لعرض الدولة ابن بويه سماه كامل الصنعة واشتهر باسم الكتاب الملكي أثنى عليه ابن القفطي فقال هو: "كتاب جليل وكناش نبيل اشتمل على علم الطب وعمله، حسن الترتيب مال الناس إليه في وقته ولزموا درسه" تاريخ الحكماء نشر جوليوس ليبيرت، ليزج ١٩٠٨م، (ص: ٢٣٢).

(٦) عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م، (ص: ٢٨١)، الموجز في تاريخ الطب والصيدلية عند العرب، نشرته المنظمة العربية للتربية والعلوم لعدد من العلماء بدون طبعة ولا تاريخ (ص: ٢٨).

لقد كان الصليبيون في أمس الحاجة إلى تقدم العرب في مجال الطب بشكل خاص حيث تخلفوا في هذا المجال كثيراً وخضع الطب مثل غيره من مجالات العلوم لتسلط الكنيسة ورجالها، ولكي نعرف المستوى المتدني لهم في هذا المجال نسوق ما أورده أسامة بن منقذ - وهو شاهد عيان على ذلك العصر - من معلومات في هذا المجال، فقد ذكر أن طبيباً مسلماً من شيزر أرسل إلى المنيطرة لمداواة بعض المرضى الصليبيين بناءً على طلب من حاكم المنطقة الصليبي وبعد عودته إلى شيزر تحدث عن مشاهداته ونتائج عمله هناك فقال: إنه قد جيء إليه بفارس في ساقه ورم مستشري وامرأة مصابة بمرض عصبي، فاستعمل مع الفارس مرهماً فتح الدملة وبدأ الفارس يُشفى، أما المرأة فقد لاطفها ووضع لها نظام تغذية لتحسين مزاجها، وهنا جاء طبيب إفرنجي وقال إن هذا المسلم لا يفقه شيئاً في العلاج، وسأل الفارس هل تريد أن تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين؟ فأجاب: أود أن أعيش برجل واحدة، فأحضر فأساً ورجلاً قوياً ومد الساق المصابة وأمره أن يقطعها بضربة واحدة فلم يستطع إلا في الثانية فمات المريض في الحال. أما المرأة فقال الإفرنجي: إن بها جنأً قد سكنها وحلق رأسها وأطعمها ثوماً وخردلاً فتدهورت أعصابها بشكل أسوأ، فقال الطبيب الإفرنجي إن الجن قد نفذ إلى رأسها فشق الرأس على شكل صليب ثم وضع فيه الملح فماتت من فورها ^(١).

وروى أسامة أيضاً عن أمير طبريا كليام دبور (Guillaum deBures) قصة الفارس الذي عالجه أحد كبار القساوسة ملتجئين بذلك بركته كما يقول فوضع في منخريه كرتين صغيرتين من الشمع ففارق الحياة، فسألوه أمات الرجل؟ فقال القس: نعم إنه كان يقاسي آلاماً شديدة فأرحته من الحياة بهذه الطريقة ^(٢).

(١) الاعتبار، الرياض، دار الأصاله، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، (ص: ١٥٢).

(٢) الاعتبار، (ص: ١٥٦، ١٥٧).

هذه حالة العلم في أوروبا وعند الصليبيين في المشرق، أما في العالم الإسلامي فقد انتشرت المستشفيات في كل مكان وتخرج الأطباء بأعداد كبيرة واستفاد الصليبيون من ذلك كثيراً ونقلوا التأثيرات الإسلامية إلى بلادهم بعد أن عادوا، وترجمت الكتب الإسلامية في مجال العلوم والطب وغيرها فأحدثت نهضة حضارية في أوروبا غيرت وجه القارة.

لقد ظل كتاب أبوبكر الرازي (٢٤٠-٣٢٠هـ) في الطب المعروف بالحاوي مدة تزيد على أربعمئة سنة المرجع الوحيد للطب في أوروبا لا يزاحمه مزاحم، وكانت كلية الطب الباريسية قبل (٦٠٠) سنة لا تحتوي مكتبتها إلا على كتاب واحد هو هذا الكتاب، واعترف الباريسيون بهذا الكنز العظيم وفضل صاحبه عليهم وعلى الطب عامة فأقاموا له في باحة كلية الطب لديهم نصباً وعلقوا صورته في قاعة كبيرة في شارع سان جرمان^(١).

واشتهر كذلك كتاب كامل الصنعة لعلي بن عباس - الذي أشرنا إليه آنفاً - حيث ترجمه ستيفن البيزوي في أنطاكية وسماه الكتاب الملكي حيث اشتهر بهذا الاسم في أوروبا، وظل مرجعاً يدرس في مدارس الطب بل اعتبرته بعض المدارس المرجع الأساسي لهذا العلم.

وقد اشترطت بعض الجامعات الأوروبية على الطلاب لكي يجتازوا الاختبارات ويسمح لهم بمباشرة مهنة الطب أن يؤدوا امتحاناً أساسياً في كتاب القانون لابن سينا (٣٧١-٤٢٩هـ) وكتاب الكليات لابن رشد (ت٥٩٥هـ) والمقالة السابعة من كتاب المنصوري للرازي^(٢).

(١) زغيريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب (ص: ٢٤٣، ٢٤٤)، سعيد عاشور: بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته (الطب الإسلامي في الجامعات الأوروبية في صدر عصر النهضة (ص: ٦٠٩).

(٢) سعيد عاشور: بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته (ص: ٦١١)، جلال مظهر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث، القاهرة، مركز كتب الشرق الأوسط د. ت. (ص: ٧٩).

وإلى جانب الطب تأثر الأوروبيون بالفلك والتنجيم حيث تُرجمت بحوث المسلمين في هذا المجال وظلت الترجمات الأوروبية للمسميات العربية إلى وقتنا الحاضر كالأبراج الفلكية (مثلاً: العقرب، الجدي... الخ) ^(١).

وتأثروا بتقدم المسلمين في الرياضيات ونقلوا الأرقام العربية، وأحدث اكتشاف الصفر ثورة في عالم الأرقام ونقله الأوروبيون إلى لغتهم باسمه بعد أن حرفوه ^(٢).

رابعاً: التأثير الاجتماعي:

لقد أحدث الاتصال الصليبي مع المسلمين في الشرق تأثيرات كثيرة على المجتمعات الصليبية، وسرعان ما انتقلت بعض هذه التأثيرات إلى أوروبا عن طريقهم، فالمعروف أن الصليبيين قد بدأوا في محاكاة المسلمين في عاداتهم الاجتماعية كاللباس والطعام والسكن، فكانت النساء الصليبيات يحاكين المسلمات في لبس الحجاب لما يضيفه على المرأة من حشمة ووقار ^(٣) كما أن الصليبيين قد أخذوا عن المسلمين فكرة الحمامات، وبعض النواحي في أساليب الحياة، فاستخدموا الخدم داخل البيوت وبدأت موائدهم تشابه موائد المسلمين بل إنهم تخلوا عن أنواع الأطعمة التي كانوا يأكلونها واقتبسوا من المسلمين أنواعاً أخرى، فلقد ذكر أسامة بن منقذ أن رجلاً من رجاله دُعي إلى مأدبة فارس فرنجي "فأحضر مائدة حسنة وطعاماً في غاية النظافة والجودة ورآني متوقفاً عن

(١) قدري حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، بيروت، دار الشروق، د.ب (ص: ١٢٦)، عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية (ص: ٥٢).

(٢) عزيز سوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب (ص: ٢١٣)، زيجريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب (ص: ٨٤، ٨٥).

(٣) سعيد عاشور: بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته "المجتمع الإسلامي في الشام في عصر الحروب الصليبية" (ص: ٤١٥)، عبد القادر أحمد اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب (ص: ٢٧٠).

الأكل فقال: كل طيب النفس فأنا ما أكل من طعام الإفرنج ولي طبابخات مصريات... ما أكل إلا من طبخهن ولا يدخل داري لحم خنزير" (١).

على أن أهم التأثيرات الاجتماعية قد طالت نظام الإقطاع، فالمعروف أن هذا النظام قد قامت على أساسه الحياتين السياسية والاجتماعية في أوروبا العصور الوسطى، وقد اعتمد هذا النظام على طبقة ضخمة من العبيد الذين يتولون فلاحه الأرض والعمل فيها، فلما قامت الحروب الصليبية انفتحت الأبواب لهم حيث اشتركوا في حملاتها، وبخاصة الحملة الأولى التي اشترك فيها أكثر من عشرة آلاف قن تركوا عملهم في الأراضي الزراعية مما اضطر الملاك إلى البحث عن أيدي عاملة أخرى فلم يجدوا إلا الأحرار لفلاحه أرضهم مما أدى إلى ضعف النظام الإقطاعي وانقرضت طبقة العبيد تدريجياً من المجتمع الأوروبي، وهذا بدوره أدى إلى ضعف طبقة الملاك (٢).

خامساً: التأثير الاقتصادي:

لاشك أن إضعاف النظام الإقطاعي كان له تأثير على الحياة الاقتصادية في غرب أوروبا، كما أن الحروب الصليبية أثرت بشكل مباشر على كبار الأمراء الإقطاعيين، فقد استنفذت تلك الحرب قدراً ضخماً من ثروتهم وجهودهم واضطر بعضهم إلى الاستدانة ورهن الممتلكات أو بيعها لكي يتمكن من تسليح فرسانه الذين ساهم بهم في الحملات الصليبية مما أدى إلى إضعافهم ومن ثم إلى ظهور الملكية وازدهارها على حساب الإقطاع.

ومن آثار الحروب الصليبية أيضاً ازدياد ظاهرة التعامل النقدي في أوروبا وذلك نتيجة التبادل التجاري مع الشرق، ونتيجة لحاجة الصليبيين للنقود للإنفاق منها في الطريق وفي الشرق، ولذا فقد باع الكثير منهم أراضيهم وممتلكاتهم

(١) الاعتبار: (ص: ١٦٠)، ه. أ. ل. فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى (١/١٨٦).

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الرابع، الجزء الرابع (ص: ٦١، ٦٢)، سعيد عاشور: الحركة الصليبية (٢/١٢٠٩).

واستبدلوا بالنقود، وقد نتج عن ذلك انخفاض ثمن العقارات، كما أن اليهود الذين يمتلكون النقود في ذلك الوقت قد استغلوا هذا الوضع لصالحهم فأخذوا يقدمون القروض بربا فاحش^(١).

ونتيجة لازدهار التعامل النقدي وحلوله محل التعامل النوعي والإقطاعي فقد اشتد الطلب على الذهب والفضة لضرب النقود، وجدَّ الأوربيون في التفتيش عن المناجم.

وتتابع ظهور العملات الذهبية حيث أصدر روجر الثاني ملك صقلية عملته الذهبية سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م، ثم أصدر الإمبراطور فردريك الثاني عملة ذهبية، وسكت مدينة فلورنس عملتها المعروفة بالفلورين سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م، وأصدر البنادقة أول عملاتهم الذهبية سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، كما أصدر ملك فرنسا لويس التاسع الليرة الذهبية سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م^(٢).

ولقد أدت الحروب الصليبية وما صاحبها من تطورات اقتصادية إلى ظهور نظام صيرفي دولي، فكان القاصدون للأراضي المقدسة يودعون أموالهم في مؤسسات صيرفية أوربية فإذا وصلوا للشرق استلموها من ممثلي تلك المؤسسات، وقد دفعهم إلى هذا ثقل تلك الأموال ومخاطر الطريق، وقد سار على منوالهم بعد ذلك التجار الغربيون المتعاملون مع الشرق، فكان التاجر يودع مبلغاً من المال مساوياً لثمن البضاعة التي اشتراها من الشرق بحيث يقوم ممثلوا المؤسسات المصرفية في الشرق بدفع الثمن وإرسال البضاعة، وقد كان من أشهر المؤسسات المصرفية في ذلك الوقت هي التي يشرف عليها فرسان المعبد فكانت تقوم بهذه الأعمال^(٣).

(١) سعيد عاشور: الحركة الصليبية (١٢١١/٢).

(٢) عبد القادر أحمد اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب (ص: ٢٦٣).

(٣) عزيز سوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب (ص: ١٧٩، ١٨٠)، عبد القادر أحمد يوسف: علاقات بين الشرق والغرب (ص: ٢٦٣، ٢٦٤).

وفي مجال الزراعة أخذ الغرب عن طريق الصليبيين زراعة حاصلات كثيرة انتقلت من شرق البحر الأبيض لغربه مثل السمسم، والأرز، وقصب السكر، والبلح، وسمي البصل الصغير بالعسقلاني نسبة إلى عسقلان حيث ينقل منها بالسفن، والمشمش الذي عرف باسم "برقوق دمشق" زمناً طويلاً، والليمون، والبطيخ، والثوم، بالإضافة إلى كثير من العقاقير والأصبغ^(١).

ويعتقد بأن الغرب قد اقتبس عملية استخراج الماء من الآبار بواسطة الطواحين الهوائية والنواعير من الشام حيث كانت هذه العملية منتشرة فيها^(٢).
سادساً: التأثير السياسي:

لقد أصاب هذا الجانب في أوروبا ما أصاب الجوانب الأخرى فقد تأثر بالحروب الصليبية، وأدت الحروب الصليبية إلى تحول في هذا المجال، فمن المعلوم أن الحياة السياسية في الغرب الأوربي قبل الحروب الصليبية موجهة بالنظام الإقطاعي، فالأمراء الإقطاعيون كان لهم من القوة والثروة ما يستطيعون بها أن يقفوا في وجه الملوك الذين ظلت سلطتهم قاصرة وضعيفة، بل إن الملك لا يستطيع أن يدعي حق الإشراف على كل أرجاء دولته، وإلا لثار عليه كبار الإقطاعيين، فلما جاءت الحركة الصليبية، وأضعفت النظام الإقطاعي في جانبه الاقتصادي، ضعف في جانبه السياسي وتنافس الملوك الصعداء وبدأوا يهيمنون على بلادهم بشكل مباشر بعيداً عن تأثير الأمراء الإقطاعيين^(٣).

وهناك أمر آخر أفرزته الحروب الصليبية في الجانب السياسي وهو نزوح عدد كبير من الأمراء الإقطاعيين إلى الشرق، والبعض منهم مات هناك، بل إن بعض البيوت الإقطاعية قد انقطعت سلالتها من الذكور بعد أن ماتوا في

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة المجلد الرابع: الجزء الرابع (ص: ٦٨)، جلال مظهر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث (ص: ١١٦)، سعيد عاشور: الحركة الصليبية (١٢٠٨/٢).

(٢) عبد القادر أحمد اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب (ص: ٢٧٠).

(٣) أرنست باركر: الحروب الصليبية، نقله للعربية السيد الباز العريني، بيروت، دار النهضة العربية، د. ت، (ص: ٤٤).

الحروب الصليبية، وانتقلت الإمارة إلى الإنساث وذلك مثل بيت "بوايون" (Bouilion)، وكذلك أمراء بيت تولوز الذين مات منهم في الشرق أربعة في أقل من خمسين سنة وهو من البيوت الإقطاعية القوية في فرنسا^(١).

وبعد اتصال الصليبيين بالمسلمين في الشرق بهروا بما يتمتع به المسلمون من حضارة ورقية ونظام سياسي عادل وتمنى ملوكهم أن يكونوا مثل ملوك المسلمين يحكمون بدون تسلط من الكنيسة أو الإقطاعيين حتى أن فيليب الثاني أغسطس ملك فرنسا قال: "ما أسعد صلاح الدين (أي الأيوبي) الذي ليس فوقه بابا"^(٢) وكان العائدون من الشرق يتحدثون عن حياة المسلمين حديثاً كله إعجاب وأخذ الجميع يتطلع إلى الحياة الحرة بعيداً عن التسلط والظلم فبدأت نساءم الصحة السياسية تهب على شعوب أوروبا الغربية، وبدأت مبادئ الحرية تظهر في أحاديث الناس والحكام^(٣).

لقد بدأ الإنجليز يطالبون حكامهم بتطوير نظمهم السياسية كالمسلمين، وأصبح لدى الملوك أنفسهم هذا الاتجاه، فقد تقدم مرافقو ريتشارد قلب الأسد بعد عودتهم من الحملة الصليبية الثالثة إليه بطلب اقتباس نظم الشرق وتأثر الإنجليز بذلك فبدأوا يطالبون بالحرية السياسية، بل إنه في عام ١٢١٢/٥م قامت ثورة شعبية ضد الملك حنا الأول تطالبه بوضع دستور للبلاد مما اضطره إلى التوقيع على ما عرف بالعهد الأعظم الذي حدد العلاقة بين الكنيسة والدولة، والعلاقات الإقطاعية بين الملك وأتباعه وكذلك الإجراءات الحكومية للفصل في القضايا المدنية، وحقوق البارونات وعين لجنة للإشراف على تنفيذ هذه الوثيقة تتألف من خمسة عشر باروناً^(٤).

(١) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، (٢/١٢١٠).

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الرابع، الجزء الرابع (ص: ٢٢٦).

(٣) كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية (ص: ٢٠٣، ٢٠٤).

(٤) المرجع السابق (ص: ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠).

وبعد هذا العهد أساس الحرية التي يتمتع بها الإنجليز اليوم، وبالنظر إلى بعض مواده نجد أن الملك قد تعهد أن يمنح للناس الأحرار كامل حريتهم، وأن لا يقبض على رجل حر أو يسجن أو يُخرج من حماية القانون أو يُنفى أو يُعاقب إلاّ بناء على محاكمة علنية بموجب القانون^(١)، ولا شك أن هذه الأحداث قد جاءت بتأثير الاتصال المباشر بين المسلمين والأوروبيين.

وهكذا نجد التأثيرات الإسلامية في الحياة الأوروبية بجوانبها المختلفة واضحة المعالم، وقد اقتصرنا على تلك التأثيرات التي جاءت من الشرق عن طريق الحركة الصليبية.

إن ما تقدم من حقائق عن التأثير الإسلامي على الأوروبيين، قد أدركه الأوروبيون وإن كان متأخراً فجاءت كثير من الكتابات المنصفة للحضارة الإسلامية وتأثيرها والمهم في هذه الكتابات أنها انتقدت من جدد هذا التأثير الإسلامي من الأوروبيين ولم يعترف به يقول الأستاذ روبرت بريفالت: "إن النهضة الحقيقية - الأوروبية - لا ترجع للقرن الخامس عشر فحسب بل إلى تأثير العرب والمغاربة في إنهاض الثقافة"^(٢).

أن أوربا بعد هبوطها المتواتر في الحالة الوحشية من الأدنى إلى الأسفل كانت قد بلغت أظلم الأعماق من الجهل والفساد بينما مدن العالم العربي: بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة وطليلة كانت مراكز الحضارة والنشاط العقلي، ومن ثم ظهرت الحياة الجديدة التي تمت في شكل ارتقاء إنساني جديد، ومن الزمن الذي أثر فيه نفوذ ثقافتهم بدأت الحياة الجديدة تتحرك، "وهذا أمر قد ذكر مراراً ولكنه مع هذا قد أهمل بالعناد واستخف به بالإصرار، إن دین أوربا "للكلب الكافر" - كما يزعمون - طبعاً لم يجد محلاً في نسق التسايرخ المسيحي، والتزوير المنحول قد خدع جميع التصورات اللاحقة، حتى المؤرخ جيبون قد عامل الإسلام بما لا يستحقه"^(٣).

(١) سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى، التاريخ السياسي (١/٤٩٠).

(٢) أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية، ترجمة أبو النصر أحمد الحسيني، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٥٩م، (ص: ١٤٥).

(٣) زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب (ص: ٥٤٠).

مصادر البحث

- ١- ابن الأثير، أبو الحسن علي محمد الشيباني: الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
- ٢- أبو شامة المقدسي ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل: الروضتين في أخبار الدولتين ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦م .
- ٣- ابن شداد ، يوسف بن رافع: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى ١٩٦٤م .
- ٤- فوشية الشارترى: تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م .
- ٥- القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف(ت٦٢٤هـ) تاريخ الحكماء نشر جوليوس ليبيرت، لبيزج ١٩٠٨م .
- ٦- ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة : ذيل تاريخ دمشق، القاهرة، مكتبة المتنبى، د.ت .
- ٧- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب ، بيروت دار صادر، د.ت.
- ٨- ابن منقذ ، أسامة بن مرشد بن علي الشيزري : الاعتبار، الرياض، دار الأصاله، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- ٩- النديم الوراق: محمد بن إسحاق: الفهرست، تحقيق رضا - نجدد، طهران ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
- ١٠- ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٢م .

- ١١- وليم الصوري : تاريخ الحروب الصليبية - الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، نقله للعربية سهيل زكار، بيروت دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

مراجع البحث

- ١- ارنست باركر: الحروب الصليبية، نقله للعربية السيد الباز العريني، بيروت، دار النهضة العربية، د. ت .
- ٢- جلال مظهر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث، القاهرة، مركز كتب الشرق الأوسط د. ت .
- ٣- روبرت بريفالت: أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية، ترجمة أبو النصر أحمد الحسيني، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٥٩م .
- ٤- زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثامنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- ٥- سعيد عاشور: الحركة الصليبية، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٨٢م .
- ٦- سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى، النظم والحضارة، القاهرة، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية ١٩٦٣م .
- ٧- سعيد عاشور: بحوث في تاريخ الإسلام وحضارية، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .
- ٨- سعيد عاشور: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت دار النهضة العربية، ١٩٧٢ .
- ٩- عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية، القاهرة، دار نهضة مصر، الطبعة الثانية، د. ت.
- ١٠- عبد الراضي محمد عبد المحسن: الوحي القرآني في الفكر اللاهوتي، دراسة تحليلية نقدية، بحث ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات

الإستشراقية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف شوال ١٤٢٧هـ / نوفمبر ٢٠٠٦ م .

١١- عبد القادر أحمد اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، بيروت، المكتبة العصرية ١٩٦٩ م .

١٢- عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي: أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية، الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤ م .

١٣- عزيز سوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فيليب صابر سيف، القاهرة، دار الثقافة، الطبعة الثانية، د. ت .

١٤- عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٨٤ م .

١٥- قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، الكويت، عالم المعرفة (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) .

١٦- قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، بيروت، دار الشروق، د. ت .

١٧- كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، القاهرة، سيناء للنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م .

١٨- محمد كامل حسين: أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية (الطب والأقربازين) دراسة لعدد من العلماء أعدت بإشراف مركز القيم ومنظمة اليونسكو، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ م .

١٩- محمد ماهر حمادة: وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .

٢٠- المنظمة العربية للتربية والعلوم : الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، لعدد من العلماء بدون طبعة ولا تاريخ .

٢١- نجيب العقيلي: المستشرقون، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة، د.ت

٢٢- نعيم فرح : الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، دمشق، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

٢٣- ه. أ. ل. فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، نقله للعربية: محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني، القاهرة، دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة، د.ت.

٢٤- ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ١٩٦٥م .

